مقدمة

موضوع هذا الكتاب هو السياسة الخارجية الأمريكية منذ هجمات القاعدة في 11 أيلول/سبتمبر 2001. وهذا موضوع شخصي بالنسبة إلي. وقد كنت قد اعتبرت نفسي محافظاً جديداً لوقت طويل، واعتقدت أنني شاركت في رؤية مشتركة للعالم مع العديدين من المحافظين الجدد الآخرين، ومن جملتهم أصدقاء ومعارف خدموا في إدارة جورج دبليو. بوش. وعملت للنائب السابق لوزير الدفاع بول دي. ولفووتز في مناسبتين، الأولى في الوكالة الأمريكية لضبط الأسلحة ونزع التسلح ولاحقاً في وزارة الخارجية، وقد كان هو مسؤولاً عن توظيفي للالتحاق في مدرسة جون هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة في الوقت الذي كان فيه عميداً هناك. وعملت مع مستشاره ألبرت ووُهلستيتَّر في شركة هذا الأخير الاستشارية، بان هوريستكس، وكان مثله محللاً لعدة سنوات في مؤسسة راند. وكنت تلميذاً من تلاميذ ألن بلوم، وهو نفسه كان تلميذاً من تلاميذ ليو شتراوس، ومؤلف إغلاق العقل الأمريكي. وكنت زميل فصل مع ويليام كريستول في مدرسة للدراسة العليا وكتبت مراراً للمجلتين اللتين أسسهما والده إرفنغ كريستول، وهما ذا ناشيونال إنترست، و ذا ببلك إنترست مثلما كتبت لمجلة كومنتري.

ومع ذلك، وخلافاً لآخرين عديدين من المحافظين الجدد، لم أكن قط مقتنعاً بالأساس المنطقي لحرب العراق. وبدأت صقريّ الموقف نوعاً ما بشأن العراق، وفي عام 1998 وقعت رسالة رعاها المشروع من أجل قرن أمريكي جديد تحث إدارة كلينتون على أن تتخذ خطاً أصلب ضد بغداد بعد أن أعاق صدام حسين مفتشي الأمم المتحدة عن الأسلحة. ومع ذلك، لم يكن الغزو الأمريكي للعراق آنئذ مطروحاً على وجه اليقين، ولن يكون محتملاً حتى جاءت حوادث 11 أيلول/ سبتمبر 2001. وطلب مني، في السنة السابقة مباشرة للغزو، أن أساهم في دراسة عن الإستراتيجية الأمريكية الطويلة الأمد نحو الحرب على الإرهاب. وعند هذه النقطة قررت أخيراً أن الحرب كانت بلا معنى، وأعطتني الدراسة فرصة لأفكر من خلال العديد من القضايا في الكتاب الحالي. لقد صرفت الكثير من الوقت منذئذ أتساءل: هل غيرت آرائي نوعاً ما بطريقة تسقط عني الأهلية من حيث أنا محافظ جديد؟ أو هل كان المحافظون الجدد المساندون للحرب يسيئون تطبيق مبادئ مشتركة ما نزال جميعنا نشترك فيها؟

إن الانفصال بين ما اعتقدته أنا وبين ما بدا أن محافظين جدداً آخرين يعتقدونه كان قد تجلى لي بوضوح في شهر شباط/ فبراير 2004، حين حضرت العشاء السنوي في معهد المشروع الأمريكي، وفيه قام تشارلز كروثامر، كاتب العمود الصحفي الذي يُنشر في عدة صحف، بإلقاء خطاب إرفنغ كريستول السنوي بعنوان "الواقعية الديمقراطية: سياسة خارجية أمريكية لعالم أحادي

القطب". هذا الخطاب، وقد ألقي بعد عام تقريباً من غزو الولايات المتحدة للعراق، عامل الحرب بوصفها نجاحاً فعلياً مطلقاً. ولم أستطع أن أفهم لماذا كان كل واحد من حولي يهتف مستحسناً الخطاب بحماسة، ونحن نعلم أن الولايات المتحدة لم تجد أسلحة دمار شامل في العراق، وارتطمتْ بوحل تمرد خبيث، وعزلت نفسها تقريباً عزلاً كاملاً عن بقية العالم من جراء اتباعها نوع الإستراتيجية الأحادية القطب التي دعا إليها كروثامر. وفي اليوم التالي صادفت محرر ذا ناشيونال إنترست آنئذ، جون أوسوليفان، وأخبرته أني كنت أريد أن أكتب بالتفصيل مراجعة نقد وتقويم. فوافق في الحال، وكانت النتيجة مقالة بعنوان "لحظة المحافظين الجدد"، التي ظهرت في صيف عام 2004.

وانتهيت إلى أن المحافظة الجديدة بوصفها نظاماً سياسياً وهيئة فكر معاً، قد تطورت إلى شيء لا أستطيع بعد ذلك أن أسانده. وكما سأحاول أن أبين في هذا الكتاب، كانت المحافظة الجديدة مستندة إلى مجموعة من المبادئ المنسجمة التي أنتجت في أثناء الحرب الباردة سياسات معقولة على وجه العموم في الوطن وفي الخارج على حد سواء. ومن ناحية أخرى، يمكن للمبادئ أن تفسر بطرق متنوعة، وفي أثناء التسعينيات من 1990، استخدمت المبادئ لتبرير سياسة أمريكية خارجية أفرطت في التشديد على استخدام القوة، وأدى ذلك منطقياً إلى حرب العراق.وقد صارت المحافظة الجديدة الآن متماهية بشكل لا رجعة فيه مع سياسات إدارة جورج دبليو. بوش في فترتها الأولى، وإن أي

جهد يسعى إلى استصلاح التسمية عند هذه النقط سيكون على الأرجح جهداً عديم الجدوى. وأهم من ذلك بكثير إعادة تعريف السياسة الخارجية الأمريكية بطريقة تتحرك إلى ما وراء تراث إدارة بوش وتراث مساندیها من المحافظين الجدد.

وهذا الكتاب محاولة تهدف إلى أن تشرح تراث المحافظين الجدد، وإلى أن تفسر أين، في رأيي، ضلت إدارة بوش الطريق الصحيح؟ وإلى أن تلخص طريقاً بديلاً تسلكه الولايات المتحدة لتتصل مع بقية العالم. وهذا أيضاً هو ما حفز جهودي لأبدأ جريدة جديدة مكرسة لمسألة الدور الأمريكي في العالم، وهي ذا أمريكان إنترست (www.the-american-interest.com) والموقف الذي أريد أن أراقبه لم تأخذ به أي مدارس موجودة داخل مناقشات السياسة الخارجية الأمريكية، ولكنه موقف سوف يكسب الدعم، كما أعتقد، من طيف عريض نوعاً ما من الأمريكيين. وسميت الموقف "الويلسونية الواقعية"، ولا نكران أنه تعبير مربك نظراً إلى أن الواقعية وتراث وودرو ويلسون معاً مفاهيم مشحونة شحناً ثقيلاً. وإذا كان أي شخص يستطيع أن يفكر في تسمية أفضل، فهو موضع ترحيب ليتصل بي مع ما لديه من اقتراحات.

وسوف يلاحظ القراء المهتمون الذين قرؤوا نقدي الأصلي لكروثامر أن الكتاب الحالي يفتقد خطأً من المناقشة موجوداً في النص السابق، ويخص الطريقة التي استدخل بها محافظون جدد معينون عقيدة إستراتيجية إسرائيلية ذات خط متصلب وأضفوا عليها صفات ذاتية وطبقوها، تطبيقاً غير مناسب في نظري، على

حالة الولايات المتحدة بعد 11 أيلول/سبتمبر. ويصدق هذا على وجه الخصوص على تشارلز كروثامر، وتقنعني تبادلاتنا اللاحقة أنني كنت محقاً بشأن هذا الموضوع. إن رأيه المبني على رؤية كارثية نبوئية عن تهديد العالم الإسلامي رأي خاطئ من وجهة نظري، وذلك لأسباب أبسطها في الفصل الثالث. ولكن وجهة النظر هذه على وجه الخصوص، وفي الوقت الذي تصدق فيه على أفراد بأعيانهم، لا يمكن أن تعزى إلى المحافظين الجدد على نطاق أكثر إجمالاً، كما لا يمكن أن تلقى على عتبة إدارة بوش. هناك عدد من الأشياء التي كنت أرغب لو أن الإدارة عملتها على نحو مختلف فيما يخص النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. ومع ذلك، فأنا لا أعتقد أن الظروف اللازمة من أجل عمل دفعة أكبر نحو التسوية النهائية للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني كانت ظروفاً ملائمة في أثناء سنوات الأربع الأولى للإدارة. وطوال بقاء ياسر عرفات حياً، لم يكن هناك إلا فرصة قليلة للإصلاح السياسي في السلطة الفلسطينية أو محاور فلسطيني يستطيع أن يصل إلى اتفاقية سلام مع إسرائيل وينفذها. والاختبار الحقيقي لإدارة بوش في هذه القضية وفي قضايا المحافظين الجدد الأخرى سوف يأتي في المدة الثانية، بعد الانسحاب من غزة.

وكانت المواد الموجودة في هذا الكتاب قد عرضت في أول الأمر في شكل محاضرات كاسل التي ألقيتها في جامعة ييل في11و12و18 نيسان / ابريل 2005. وأود أن أشكر البرنامج في الأخلاق، والسياسة، والاقتصاد، الذي استضاف سلسلة

المحاضرات، وأشكر مديرة البرنامج، سيلا بن حبيب التي دعتني في الأصل لإلقائها. وأنا شاكر أيضاً لجون كي. كاسل الذي مول السلسلة لتكريم سلفه جيمس بييربونت الموقر.

وقد زودني عدد كبير من الناس بملاحظات على المسودة أو أنهم ردوا حين عُرضت أمام الجمهور، ومن جملتهم روبرت بوينتون، ومارك كوردوفر، وتشارلز دافيدسون، وهيلليل فرادكين، وآدم غارفنكل، وجون إكينبري، وروجر ليدز، ومارك ليللا، ومايك ماندیلبوم، وتريتا بارسي، ومارك بلاتنر، وجيرمي رابكين، وستيفن سيستانوفيتش، وأبرام شولسكي، وتوم وايت، وآدم ولفسون. وأود أيضاً أن أشكر جون لويس غاديس وستفين سميث اللذين عملا مراجعين في مطبعة جامعة ييل. وقدم جون كولكا، وهو كبير المحررين في المطبعة، توجيهاً مفيداً في أثناء تطور المسودة. واستفدت استفادة كبيرة من المحادثات العديدة التي أجريتها مع ستيفن هوسمر، وهو واحد من أحكم الناس الذين أعرفهم في موضوع السياسة الأمريكية في البلاد النامية. وأسهم عدد من الناس الآخرين بأفكار وبمناقشات تم دمجها في نهاية المطاف في الكتاب (سواء أكانوا يعرفون ذلك أم لا)، ومن جملتهم بيتر بيركووتز، وزبيغنيو بريجيزينسكي، وكيرت كامبل، وإليوت كوهين، وأيفو دالدر، ومايك ديش، وبربارا هيغ، وليون كاس، وتوم كيني، وتود ليندبيرغ، وروب ليتواك، وجون ميرشيمر، وناثان تاركوف، وكين وينشتاين. وكانت زوجتي، لورا هولمغرين، مرتابة بشأن الحرب من البداية، وقد انتفعت من مناقشات عديدة دارت معها حول ذلك.

وساعدت مساعدتي سينثيا دوروغازي في مراحل مختلفة عديدة من هذا المشروع. وعمل كارلوس هامان، وإنا هوكسها، وكريستوف موناسترسكي مساعدين في البحث. وأخيراً وليس آخراً، فأنا شاكر لفريقي من الوكلاء الأدبيين المبدعين في إنترناشيونال كرييتف مانجمنت، وهم إيسثر نيوبيرغ، وكريستين بوتش، وبيتسي روبنز، ومارغريت هولتون، وليز أيفيسون، وذلك على المساعدة التي قدموها في جعل إنجاز هذا الكتاب ممكناً.

obeikandl.com